فكاهات

رواية

كشف المغطى

كان في المانيا رجلٌ يقال لهُ هورنشتين دأب منذ صغرهِ في الاشغال التجارية فما بلغ السنة الاربعين من عمره حتى عظمت ثروتهُ واتسع نطاق شغلهِ واصبح محلهُ من اشهر المحلات التجارية في برلين . وتزوج في صغرهِ فرزقهُ الله ابنًا وابنةً عكف على تربيتهما وتهذيب اخلاقهما فما بلغ ابنهُ اشدّهُ حتى الحقهُ بمحلهِ التجاري وعين لهُ عملاً فيهِ كباقي المستخدمين والكتاب. اما الابنة واسمها اماليا فعادت بعد انتهآء ايامها المدرسية الى بيت والدها لا ينازعها في جمالها منازع ولا تفوقها في آدابها كريمةٌ من كرائم السراة والوجهآء وفوّض اليها والداها مهام المنزل وترتيبهُ فكانت في ذلك القصر العظيم ملكةً مستقلة الحكم لا يفوتها شيءٌ من الحكمة والذوق في جودة التدبير وحسن الترتيب وارضآء كل من اتصل بالبيت داخلاً وخارجاً فاعجب بها الزائرون واحبها الخدام وكانت اوامرها لا تراجع وحكمها لا يخالف . اما الولد واسمهُ غستاف فصادف في ادارة ابيهِ شغلاً قليلاً ومالاً كثيرًا فعكف على القصف واللهو والاسراف وكانت حياتهُ كحياة اولاد الاشراف الاغنيآء ....

وكان في ادارة هورنشتين من جملة الكتاب فتى حلو الشمائل رقيق العواطف بهيّ الطلعة اسمهُ هرمان وكان على اعظم جانب من الذكآء وحسن التصرف فاحبهُ هورنشتين ومال اليهِ فجعل يرقيهِ وعزم على جعلهِ شريكاً لهُ في تلك التجارة

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الواسعة . وكان لهرمان اختٌ اسمها هنريت لا تنحطّ عنهُ في الجمال وطيب الخصال فاحبها غستاف وعزم على الاقتران بها فوافق عزمهُ رضى والديهِ وسرور هرمان لان هذا ايضاً قد طمح بصرهُ الى اماليا بنت هورنشتين فعزم على مبادلة شقيقتهِ بها وكان هذا ما تودّهُ اماليا ايضاً فصار من المقرر ان يجري كل ذلك على حسب افكار هؤلآء الاشخاص المتفقة

اما محبة غستاف لهنريت فلم تكن لتمنعهُ في اوقات فراغهِ من مغازلة الحسان والتزلف الى غيرها من السيدات اللواتي يصيدهنّ بجمال جمالهِ وماله وكان في اثنآء خطبتهِ لهنريت قد علق بسيدة ذات بعلٍ تدعى مدام ليوبولد وزوجها من عمال املاك ابيهِ غير انها كانت امينةً لزوجها محافظةً على عفافها فلم تملك غستاف منها ولا اقلّ اشارة تدلّ على رضاها منهُ . وكانت كلما اظهرت لهُ الجفآء والصدّ وردعتهُ عن مقاصدهِ السيئة لا يزداد الا هياماً بها وتذللاً لها فلا يصادف منها الا النفور والاعراض . ولما يئس منها عمد الى الكيد فنقل الى زوجها كلاماً كثيراً في حق زوجتهِ واحتال عليهِ بطرقهِ الشيطانية حتى اوغر صدرهُ عليها وتاكد فيها الخيانة فتركها يوماً وسافر الى حيث لم يدرِ احد ومضت عليهِ مدة طويلة لم يسمع احدٌ بخبرهِ ولم يأتِ البحث عنهُ بفائدة فظن بعضهم انهُ انتحر من شدة غيظهِ وقال غيرهم انهُ سافر الى معادن الذهب . ولبثت مدام ليوبولد بعد غياب زوجها محافظةً على كرامتها مقيمةً على ما عهد بها من العفة والصيانة ولما لم يكن لها شيءٌ من الدخل ولا مال لديها جعلت تبيع من اثاث بيتها وتنفق بمنتهى الحرص والتقتير . واغتنم غستاف هذه الفرصة فكان يأتيها اليوم بعد الآخر ويعرض عليها المبالغ الباهظة من امواله فترفضها بمعظم الانفة والاحتقار . ولما سئمت من ترددهِ اليها وقطعت املها من رجوع زوجها ولم يعد عندها شيءٌ من المال تركت هي ايضاً بيتها وسافرت مع طفلها الى بلدةٍ اخرى فاقامت مرضعةً عند بعض السراة

وكانت مدام ليوبولد تغرس في رأس طفلها العلوم الابتدآئية واصول العقائد الدينية فنشأ كما نشأت والدتهُ على امتن القواعد الادبية . ولما شبّ اطلعتهُ على

وقائع حياتها وما اوصلهما الى هذه الحالة فتفتت قلب الفتى كمدًا واضمر لغستاف الشرّ ولما رأت والدتهُ منهُ ذلك جعلت تخفف عليهِ وتوصيهِ ان لا يفكر البتة في امر الانتقام اذ الانتقام لله . وكان هرمان قد علم بما وصلت اليهِ حال مدام ليو بولد من الفاقة ونفاد ما عندها وعلم ان ما تحصلهُ من الدخل القليل لا يكفي لنفقاتها ونفقات ولدها المدرسية فكان يرسل اليها من وقت الى آخر ما تستعين بهِ وكانت هي تشعر بفضلهِ وتعتقد من جميلهِ ما لا تنساهُ

وجآء اليوم المعين لزفاف هنريت الى غستاف فزُينت دار هورنشتين بابهى مظاهر الزينة واحتُفل فيها باقامة وليمة عظيمة دُعي اليها العدد الغفير من الاصدقآء والاعيان وكان ميعاد حفلة الاكليل في ذلك المسآء . اما هرمان اخو العروس فكان مسافرًا في شغل يختص بالمحل ويُنتظر رجوعهُ في قطار المسآء . فلما خيم الظلام أُوقدت المصابيح وتألقت الانوار واستكملت اسباب السرور واذا بصفير القطار يبشر بقدومهِ يقلّ هرمان . غير انهُ ما كاد القطار يبلغ المحطة حتى دوى من جهتهِ صوتٌ كالرعد القاصف ثم تلاهُ صراخٌ يصمّ الآذان فوقف كل من كانوا في دار العرس يتسآءلون عن ذلك الصوت والصياح . وبعد بضع دقائق جآء القصر فتى واخبرهم ان القطار عند بلوغهِ المحطة اصطدم بقطارٍ آخر كان خارجًا منها وكان الاصطدام عنيفًا جدًّا فتكسرت العربات وتحطمت العجلات ولم يعلم بعد عدد القتلى والجرحى . فما سمع اهل البيت هذا الخبر حتى هرعوا الى محل الحادثة فرأوا منظرًا يفتت الاكباد فدمآء تسيل واشخاصٌ تئنّ من الالم وارواحٌ تتسابق الى حضرة خالقها . اما هرمان فوجدوهُ في عربة ملطخًا بالدم وقد اصابتهُ جراحٌ عديدة فحملوهُ الى بيت هورنشتين واستدعوا للحال نطس الاطبآء للاعتنآء بهِ . ولما لم يكن بدٌّ من قران غستاف عُقد لهُ في تلك الليلة على هنريت بمنتهى البساطة والسكوت واهملوا ما كانوا رتبوهُ من دواعي المسرات بسبب تلك الحادثة المؤلمة وعلى الخصوص لما اصاب هرمان اخا العروس

اما هرمان فبقي اليوم الاول والثاني في آلامٍ مبرحة ثم تسلطت عليهِ حمى

شديدة هال الاطبآء امرها وافرغوا جهدهم في معالجتها فلم تنجح علاجاتهم وتقرر اخيرًا قطع الامل من شفآئهِ . ولما انتشرت هذه الحقيقة انقلبت هيئة ذلك البيت وجعل الجميع يندبون شباب تلك الزهرة النضيرة ولا سيما حبيبتهُ اماليا وشقيقتهُ هنريت فلم تفارقا سريرهُ وهما تتناوبان السهر عليهِ وتمريضهُ حسب اشارة الاطبآء وتتمنيان ان يكون في وسعهما اطالة الدقائق الباقية من حياتهِ ولو بخسارتهما اياها من حياتهما

وحدث في ذلك الحين ان اشترى بعض التجار من محل هورنشتين املاكاً بقيمة عشرين الف ليرة ولما تم عقد البيع وطُلب المال من المشترين اظهروا وصلاً بتوقيع المحل يفيد ان القيمة قد دُفعت. فنزل هذا الخبر على رئيس المحل كنزول الصاعقة ووقعت الحيرة على كل من كان في المحل من المستخدمين والكتاب واخذوا يتسآءلون عمن استلم هذا المبلغ لانهُ لم يصل الى الصندوق . وفي اثنآء ذلك بينما كان هرمان ملقىً على سرير احتضارهِ دخل عليهِ غستاف بوجهٍ اصفر وهيئة مضطربة فطلب الى زوجتهِ وشقيقتهِ ان تغادرا الغرفة هنيهةً ولما بقي وحدهُ مع المحتضَر جثا بالقرب من سريرهِ وقال لهُ يا عزيزي هرمان اخبرك بكل اسف ان الاطبآء قد قطعت الامل من حياتك وانهُ ليعزّ عليَّ جدًّا ان ينالك سوء غير انهُ اذا كان هذا الذي سيقع ولا مردّ لقضآء الله فقد جئتك متوسلاً اليك في امرٍ يهمني جدًّا وانا على ثقةٍ انك لا تبخل عليَّ بهِ . فاعلم ان والدي قد خصص لي مبلغًا معينًا اتقاضاهُ من المحل في نهاية كل شهر ولما كان هذا المبلغ غير كافٍ لبعض النفقات التي اضطررت اليها فقد أُلجئت الى استدانة ما احتاج اليهِ من محل فنك وانا لا ادري كيف او متى اتمكن من وفآئهِ. وقد جآء فنك في هذين اليومين يشتري الاملاك التي تعهدها وسألني ان أفيهُ المبلغ الذي استدنتهُ منهُ فزورت لهُ وصلاً بتوقيع المحل بقيمة العشرين الف ليرة التي هي ثمن الاملاك المذكورة واخذت منهُ بقية الثمن. ولا حاجة ان اقول لك انهُ متى علم والدي بالواقع فسيطردني من بيتهِ بدون شك اذا لم يسلمني الى القضآء وسابقى مع زوجتي في حالة الضنك الشديد

وانت تعلم النتيجة . ولما علمت انك انت مائتٌ لا محالة قصدت فضلك ايها الاخ الصادق لتوافقني على القآء التبعة عليك فانك اذا مت لا يقدر احدٌ ان يوصل اليك اذيةً ما ولا يهمك اذ ذاك كلام البشر واني اعدك وعد صادقٍ انني بعد ان يتناسى هذا الخبر اترقب الفرص لازالة ما سيعلق بافكار الناس من جهتك واعيد اسمك الى ما هو عليهِ من الكرامة والاحترام

وكان غستاف يتكلم وهو يتضرع الى هرمان ان لا يصدّهُ فتأثر ذاك ولما ايقن انهُ مائتٌ ولا يضرّهُ من هذا الامر سوى اهانة اسمهِ عزم ان يبذل كرامتهُ لانقاذ زوج شقيقتهِ وشقيق حبيبتهِ وما اجاب بالايجاب حتى ابرقت اسرّة غستاف ونهض الى هرمان يقبل يديهِ ورجليهِ ثم اخرج من جيبهِ رقعةً كتب فيها ما يأتي « انني انا استامت من محل فنك مبلغ العشرين الف ليرة ثمن الاملاك المشتراة من محل هورنشتين واذ كنت في حاجةٍ الى هذا المبلغ لم اوردهُ الى المحل فلا يُتهم غيري بهذا الامر . اما المال فلا سبيل الى ردّهِ واما قصاصي فقد نلتهُ عاجلاً بما وقع عليَّ من القضآء وانا استغفر الله عن ذنبي وارجو من اصحاب الشأن الصفح عما فعلت » . ثم قدم الرقعة الى هرمان واعطاهُ قلماً ليوقع عليها فاخذ هرمان القلم وتوقف هنيهةً ثم وقع عليها ودفعها الى غستاف وحوّل وجههُ الى الحائط

وما صدق غستاف ان اخذ هذه الورقة حتى خرج من الغرفة وتوجه توًّا الى المحل فرأى والدهُ يوالي البحث والتدقيق فاستدعاهُ الى جانب واخبرهُ ان الفاعل هو هرمان واراهُ الورقة التي وقع عليها ذاك وهو يعتقد انهُ لا يعود الى البيت الا ويكون هرمان قد فارق الحياة فيبقى سرّهُ محفوظاً الى الابد . ولما تحقق هورنشتين الامر كاد يفقد عقلهُ لشدة تأثرهِ وعلى الخصوص لانهُ كان يودّ هرمان جدًّا ويعجب باستقامتهِ ويروم مشاركتهُ . فامر اذ ذاك بكتمان الامر وسدل على ما حدث حجاب النسيان

ولم يمت هرمان كما تنبأ الاطبآء ففي اليوم الثاني هبطت درجة الحمى واخذت صحتهُ تتقوى شيئاً فشيئاً حتى نقه تماماً وهو في تلك المدة لم يدرِ شيئاً عما جرى في

محل هورنشتين سوى ما ذكرهُ غستاف . فلما اذن لهُ الطبيب في الخروج من غرفتهِ استدعاهُ هورنشتين سرًّا وعنفهُ شديداً على اخذه ذلك المبلغ وقال لهُ انني قد تجاوزت الحدّ في ثقتي بك فسلمت اليك جميع اشغالي ولم يخطر لي قط انك تخونني هذه الخيانة . وبما انهُ قد كان بيني وبين والدك صداقة اكيدة فلاجلهِ لا اسلمك الى الحكومة ولا اكافئك بشيءٍ سوى الطرد من خدمتي فمن الآن تغادر هذا المحل واياك ان تريني وجهك من بعد . وخطر لهرمان ان يبرئ نفسهُ فورًا ويقص على هورنشتين ما فعلهُ ابنهُ غستاف ولكنهُ راجع نفسهُ وابقى الامر مكتوماً اعتماداً على وعد غستاف وانهُ لا بد ان تنجلي الحقيقة عن قريب ويعود الى مركزهِ السابق . فغادر المحل وقد ترك فيهِ قلبهُ وفي صدرهِ نارٌ احرُّ نار الجحيم ابردها . ولم يكن هرمان من المثرين فجعل يسعى في وجود شغلٍ في محلاتٍ اخرى ولكنهُ كان لا يقابل الا بالرفض والاعراض لان غستاف لما شفي هرمان خشي ان يبوح بما كان منهُ ويكشف عنهُ قناع ردآءتهِ فكان يسبقهُ الى كل محل ويرميهِ بكل قبيح من التهم ويجتهد في اسقاطهِ وسدّ ابواب الرجآء في وجههِ ليغادر البلاد ويتخلص من شرهِ

وكانت مدام ليو بولد تربي ولدها بما تحصلهُ بعرق جبينها وما يساعدها بهِ هرمان فلما اصابتهُ هذه الحادثة تأخر عن مساعدتها فاخرجت ولدها من المدرسة وكان قد صار شابًّا ولما رأى الولد ضيقة والدتهِ استأذنها ان يسافر الى كاليفورنيا حيث معادن الذهب لعلهُ يصيب شيئاً يهيئ لهُ سبيل المعيشة مع والدتهِ فقبلت والدتهُ بعد التردد الشديد وسافر الغلام على بركات الله

وبعد مضي عشر سنوات على آخر هذه الحوادث جآء البلدة رجلٌ قيل انهُ اميركاني ومعهُ ابنهُ الوحيد وهو شابٌّ في الخامسة والعشرين من عمرهِ . فتعاطى في البلدة تجارةً من نوع اشغال هورنشتين وبحث عن هرمان فوكلهُ على اعمالهِ رغماً عن سعي غستاف لدى هذا الغريب في ابعاد هرمان وحرمانهِ . وكان هذا المحل يتقدم تقدماً سريعاً على عكس محل هورنشتين الذي اخذ في التأخر واصبح على

شفير الخراب

وتعرف الرجل الاميركاني بهورنشتين فاخذا يبحثان في شؤون التجارة والشغل وافضيا الى ذكر العمال والحسابات وما شاكلها فقص هورنشتين على الاميركاني انهُ وثق يوماً باعز عمالهِ وسلم اليهِ اشغالهُ فخانهُ وسرق منهُ اموالاً بقيمة عشرين الف ليرة وان اسم هذا الكاتب هرمان . فاظهر الاميركاني التعجب وقال ان الرجل نفسهُ مستخدم عندي وقد فوضت الى عهدتهِ جميع اشغالي ولا اعرف فيهِ سوى الحزم والاجتهاد في العمل والاستقامة والامانة التامة ولا يمكنني تصديق هذه التهمة عنهُ . قال هورنشتين وانا ما كنت لاصدق لو لم ارَ بعيني اعترافهُ خطًّا وهو على سرير الموت . قال الاميركاني وهل فحصت دفاترك بعد طردهِ فوجدتها خالية من التلاعب . قال لا ولكني واثقٌ بصحتها لاني سلمتها بعد هرمان الى ولدي الوحيد . قال أتأذن لي ان اراجعها معك حتى نتحقق بواطن هذا الامر ونحيط بكل اسرارهِ فاجابهُ هورنشتين بالايجاب وفي اليوم الثاني اجتمع الاثنان واخذا يطالعان دفاتر المحل ويراجعان قيودهُ فما عتم الاميركاني ان وجد مواضع عديدة في القيود حصل فيها تلاعب وسرق بواسطتها مبالغ جسيمة . فوقف هورنشتين كالمبهوت وقد اكفهرّ لونهُ ولم يملك عبرتهُ وقال يا رباه افي كل يوم ارى مثل هذه الحوادث التي عاقبتها ذهاب مالي وخسران اسمي حتى لا يبقى لي شيءٌ اورّثهُ لولدي بعد وفاتي . فتبسم الاميركاني وقال اذا كان هذا خوفك فكن براحة بال فان هذه الاموال المسروقة لم تذهب الا الى جيب ولدك كما ذهبت قبلها العشرون الف ليرة التي اتهم بها هرمان ظلماً . ثم قص على هورنشتين ما جرى بين غستاف وهرمان واخبرهُ كيف كان يجتهد غستاف في اخفآء الامر وتضييق الطرق على هرمان ليضطرهُ الى مغادرة البلاد . فجحظت عينا ذلك الوالد المسكين وقال لهُ ومن اين علمت ذلك وانت غريب . قال انا لست غريباً ولكني ممن وصلت اليهم اذية ولدك . انا خادمك ليوبولد وقد بلغ من مكر ولدك بي ان القى الشقاق بيني وبين زوجتي تلك الملاك الطاهر والجأني ان اعرّض نفسي للهلكة في بلادٍ بعيدة ولكن الله استقباني وفتح عليَّ

ابواب الخير فأصبت ارباحاً وافرة في مناجم الذهب و بلغت ثروتي الملايين العديدة وكنت قد آليت على نفسي ان لا ارجع الى هنا لو لم يسق الله اليَّ ولدي الوحيد. وقد علمت منهُ ما كشف الغشآء عن عينيَّ فرجعت اكفّر عن ذنبي لدى تلك الزوجة المسكينة وازيل الحجاب عن الحقيقة التي يسترها ابنك بمكرهِ واحتيالهِ

ولما وضح الامر للمستر هورنشتين اصابتهُ نوبة عصبية فسقط الى الارض مغمىً عليهِ . ولما افاق نقلوهُ الى بيتهِ واسرعوا في مداواتهِ . و بعد ذلك طلب هورنشتين ولدهُ غستاف و بعد التهديد والوعيد اقرّ الشاب الجاهل بما فعل

ثم استدعى هورنشتين هرمان فجثا امامهُ طالبًا منهُ الصفح بكلام يذيب الجلمود وهرمان لا يدري ما السبب الموجب لذلك واذا بالمستر ليو بلد داخلٌ بناءً على طلب المستر هورنشتين فعرّفهُ بهرمان وقال لهُ ليو بولد انهُ جعلهُ شريكهُ في مالهِ وتجارتهِ مقابل احسانهِ الى زوجتهِ في غيابهِ . ففرحت هنريت برجوع اخيها واعادة كرامتهِ كما فرحت اماليا برجوع خطيبها وكانت قد حرّمت على نفسها الزواجَ بعدهُ . وبحث ليو بولد عن زوجتهِ حتى اهتدى اليها فكانت بينهما مقابلة يعجز القلم عن وصفها انجلت عن صفح تلك المرأة الشريفة القلب عن هفوات زوجها وعادت اليهِ والى ولدها فاستأنفا حياةً جديدة طيبة انستهما مرارة الماضي . واقترن هرمان باماليا فعادت المسرات الى احسن مما كان قبل حلول هذه النكبات

اما غستاف فبعد ان عنفهُ والدهُ تعنيفًا شديدًا قال لهُ كان الاولى ان اسلمك الى المحاكم واطلب حكمها عليك بالاشغال الشاقة جزآء ما جنتهُ يداك ولكني اشفق لاعليك بل على هذه الفتاة التي ساقها سوء بختها ان تكون زوجة لك . فها انا أُبينك بجزءٍ من مالي فخذهُ واذهب حيث شئت ولكن لا يكن لك بعد معي مداخلة البتة . اما ميراثي فاهبهُ لابنتي اماليا عسى ان تكفر بتقديمهِ الى زوجها الامين عن سيئاتي وسيئاتك اليهِ . انتهى